وان كانت الامة منشقة شعرنا بالذل وصاروا يحتقروننا ولا يبالون بنا »(١٠).

دراسة الحالة في فلسطين لم تعطه أملا كبيرا ولم يعف أهل فلسطين من المسؤولية ، فهو يشبههم « بالقط الذي يلحس المبرد يتلذذ بالدم الذي يسيل من لسانه وهو لا يدري ان دمه ذلك لان اهل فلسطين يعيشون من رأس مالهم اي أنهم يبيعون الارض والعقار الى اليهود وينفقون ثمنه وسوف يأتي يوم وهو قريب لا يجدون ما يبيعونه فيصبحوا على لا شيء والسعيد منهم من يجد اجرة راحلة تنقله الى الصحراء هذا اذا لم يمت جوعا وكمدا » .

ويوجه هجوما كبيرا لحزب المعارضة « المعارضة التي سكتت عن كل ما انزله الاحتلال والصهيونية على البلاد واقتصرت على معارضة الامة في امانيها وفي نهضتها » . وبمناسبة الضجة التي اثارها راغب النشاشيبي بسبب سرقة المصحف من المتحف الاسلامي في المسجد الاقصى يتساءل الطاهر « .. ولكن ماذا يقول أهل فلسطين عنكم وأنتم تمسكون هذه المسألة باليمين وبالشمال وتسكتون على ضياع فلسطين بمالها وملايينها واهلها وكرامتها وحقوقها وشرفها .. »(١١). يقول الطاهر « لكنني كمعارض للاحتلال ساخط مما حل ببلادي لسببه لا يسعني الا ان اخاصم كل أصدقاء الاحتلال » .

ومن هؤلاء القائمون على امارة شرق الاردن التي يرى أنها « قد خلقت لتكون سورا للوطن القومي اليهودي ، اي لمنع تسرب اخواننا الاشقاء اهل شرق الاردن لفلسطين سواء للسكنى ومساعدتنا على الكثرة امام الغزوة اليهودية او لمنعهم من اغاثتنا عندما تغتالنا الغوائل .. » ولعل اقرب ما حدث هو ما جرى في ثورة ١٩٢٩ وما جرى ١٩٣١ لما منعهم الامير عبدالله من الوصول الينا . وحكومة شرق الاردن ، كما يقول ، « والتي خلقت لتحمي بوجودها الوطن القومي اليهودي في حاجة الى من يحميها من قبائل الصحراء » .. اذن فيجب اغتيال ٢٣٢ الف جنيه من اموال اهل فلسطين لتنفق على صيانة تلك الحدود ! اي صيانة حدود السياج الذي يحمي الصهيونية »(١٢).

ولم يكن الطاهر يؤمن بجدوى جمعية الامم فتواعد « ولسن الخيالية اوهمت الناس ان جمعية الامم ستكون لخدمة الامم الضعيفة فاذا هي عصابة شديدة لا عمل لها الا تسويغ اعتداءات الاقوياء على الضعفاء » .. فيجب أن لا نعرف جمعية الامم فهي « هيئة ضالة فيجب بالاول ان نشكو منها لاننا جربناها طويلا منذ ١٢ سنة فاذا هي اغشم من الدول المستعمرة ولا تحترم الا من كان عنده مدافع ودبابات ، فهل عندكم مدافع ودبابات ؟ »(١٣).

ما ينقذ فلسطين التي « تذوب العربية فيها الان ذوب الشمع ، ويجري فيها اليوم ما جرى في الاندلس بالامس ، وان اختلف الاسلوب » عدم تخلي العرب عنها حتى لا يندموا بعد فوات الاوان ، لذا يقترح الطاهر قيام حركة عربية يكون هدفها « المبادرة من كل عربي في الاجزاء الاخرى من ارض الشام على الاخص لمشترى ما يستطيع ان يشتريه من اراضي فلسطين الزراعية التي يرغم الظلم او الحاجة الماسة اصحابها على بيعها » . وردا على تساؤل البعض عما تستطيع مصر ان تصنعه لفلسطين وهي منكوبة ايضا بالاستعمار يقول الطاهر(١٤) « .. ان ارتفاع الصوتين معا ليردع الظالم مهما تجلد وتظاهر بالقوة وعدم المبالاة فالتهاون في نصرة فلسطين وهي درع لمصر ان كانت فلسطين حرة ، وشوكة في جنبها ان خرجت من أيدي العرب ، انما هو مثل التهاون في حق مصر » .

وقبل أشهر من نشوب ثورة فلسطين الكبرى عاد الطاهر لزيارة الوطن القديم فلسطين ، وأخذ اذنا بالاقامة ستة فأنذرته السلطات بالخروج من فلسطين والا اتخذت معه الاجراءات القانونية على اعتبار انه اجنبي ولما احتج قيل له انه القانون فكان رده « بأي حق تعتبرني لندن اجنبيا وكل شيء يشهد بأني ابن هذه البلاد بينما قانون لندن يعتبر اليهودي البولوني المهاجر فلسطينيا »(١٥).

ويوم كانت ثورة فلسطين الكبرى على أشدها جمع اخبار فظائع الانكليز واليهود ورسوم الشهداء في كتاب سماه «فلسطين ارض الشهداء» ليوزع مجانا لانه دبر نفقاته منه ومن بعض الاصدقاء وكانت المطبعة قد انجزت ٣٦ الف ملزمة فصادر البوليس الكتاب والكليشهات ، مع انه